

البسمة

سجاد محمد فام

أستاذ مساعد في قسم علوم القرآن والحديث
جامعة الشهيد مدني بأذربيجان، تبريز، ايران.

ac.mohammadfam@azaruniv.ac.ir

احمد محمد عبدالله الشجلاوي

hamoodimohammed1991@gmail.com

الملخص:

إنَّ وقوع (البسمة) في أول كتاب الله المجيد، ثم تكرارها بعدد السور القرآنية، أول ظاهرة تجلب الأنظار، وتتنبه الإنسان إلى أهميتها، وتدفع إلى البحث عن أسباب عظمتها وقيمتها. فهي أول آية وردت في القرآن في بدء سورة الحمد وبدء كل سورة إلا سورة البراءة، وجاءت خلال سورة النمل. على الرغم من صغر حجمها المادي وقلة كلماتها وحروفها في الظاهر، تحمل في معانيها أوسع المعاني وأعظم المفاهيم المعرفية. وقد تكررت مائة وأربع عشرة مرة، وهذا ما يدل على قيمتها ومكانتها بين الآيات القرآنية. فقد تناولت هذه الدراسة أحكام آية البسمة بأسلوب تحليلي وصفي وقامت بالبحث عن أهميتها من خلال عرض زواياها المختلفة من اللغة والإعراب والبلاغة عرضاً بسيطاً وركزت على مباحث كلامية حول البسمة وما حوت من الكلمات: كلمة الإسم بصورة خاصة والأسماء الثلاثة التي فيها وهي الله والرحمن والرحيم. ثم دخلت إلى الساحة العرفانية بمساعدة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، وغرقت من معنيها العذب بمقدار ما يسع المقال. فتوصلت إلى نتائج توحى إلى أن آية البسمة تعتبر نواة القرآن التي منها نبتت شجرة القرآن وأنتت ثمارها. إنها جمعت في طياتها أعظم الأسماء الإلهية وهو الله، ومن اسم الله ظهرت يداها الرحمانية والرحيمية المبسوطتان والعطايا الربانية التي تشمل جميع الخلق والأمر وجميع النعم الإلهية في الكون المادية منها والمعنوية. كما هو عصاره الهداية الإلهية والرسالة النبوية والولاية العلوية.

الكلمات المفتاحية: (البسمة، أحكام البسمة، اعراب البسمة).

AlBasmalah

Sajjad Muhammad Fam

Assistant Professor in the Department of Qur'anic and Hadith Sciences

Shahid Madani University of Azerbaijan, Tabriz, Iran.

ac.mohammadfam@azaruniv.ac.irAhmed

Muhammad Abdullah Al-Shaglawi

hamoodimohammed1991@gmail.com

ABSTRACT:

The placement of Bismillah al-Rahman al-Rahim at the beginning of the greatest divine book, and its repetition as many as the surahs of the Holy Quran, is the first matter that makes individuals realize the importance of this blessed verse and makes him explore to find its value and status among the Quranic verses. This verse is at the beginning of Surah Hamad and the beginning of all the surahs of the Qur'an; Except for Surah Baraat, it is also found among the verses of Surah Naml. In fact, it is repeated one hundred and fourteen times in the Quran, which shows its value and place among all the Quranic verses. using an analytical-descriptive method, this article presents the rulings of this verse and focuses on investigating and researching its importance using different aspects including vocabulary, diacritic, rhetoric and kalam. Then, in the light of these discussions and referring to the hadiths of Ahl al-Bayt, innocence and purity employ the field of mysticism, and use it as much as the scope of the article allows. The result of the research shows an unparalleled greatness in the verse of Bismillah al-Rahman al-Rahim, which contains the essence of divine revelation, prophetic mission, and Alawi's guardianship in this very short, yet significant and meaningful verse, and the more one delves into it, these truths are revealed.

Keywords: (Basmalah, rulings on Basmalah, parsing of Basmalah).

١. المقدمة:

تتصف آية بسم الله الرحمن الرحيم في الرؤية الأولى بأوصاف تجعلها محط أنظار الباحثين والمفسرين، وتدل على عظمتها وعلو شأنها بين الآيات القرآنية وذلك بأنها بدء القرآن وبدره؛ كما هي أول لكل السور؛ غير سورة التوبة التي فيها يظهر غضب الله وأنها اختصت بتكرار لم تعده عند غيرها من الآيات، وهي من الآيات التي كثر الخلاف فيها ووردت حولها أحاديث عديدة تدل على عظمتها.

ونظرا لهذه الأمور التي تدل على جلالة قدر الآية الكريمة، آثرنا البحث حول بسم الله الرحمن الرحيم عن زواياها المختلفة. وذلك بإلقاء الضوء عليها من خلال نظرات عديدة. فقمنا بالبحث اللغوي والنحوي حول مفرداتها. ثم أوردنا

أحكام البسمة وموقعها بين الآيات القرآنية وقراءتها في الصلاة، وذلك من وجهة نظر الشيعة وبعض الفرق الإسلامية. إن المباحث الكلامية والعرفانية من وجهة نظر أهل البيت عليهم السلام حول كلمات: «الإسم» و «الله» و «الرحمان» و «الرحيم» وسعة هذه الأسماء من أهم ما تطرقنا إليه في هذا المقال. الأسئلة التي يعالجها هذا البحث ويجب عنها هي:

١- ما هي الموضوعات التي يمكن أن يناقش حول البسمة في الكتب التفسيرية. ٢- ما وجوه عظمة الآية وأهميتها بين الآيات القرآنية؟ والإجابة هذه، تستدعي اطلاعة على موضوعات طرحت في الكتب التفسيرية، ثم البحث عنها بمنهج تحليلي، وصفي ونقدي للوصول إلى مواقع جلال الآية وجمالها وعظمتها.

١-١. أهمية وضرورة البحث

تعتبر آية بسم الله الرحمن الرحيم أول آية في القرآن الكريم التي تختص بالتكرار في أوائل السور القرآنية والتكرار في كل صلاة يصلحها المسلم في كل يوم وليلة، والتي تحمل في طياتها أعظم الأسماء الإلهية الحسني: الله، الرحمن، الرحيم. فالبحث عن أهميتها يؤدي إلى سير أغوار الآية الكريمة بما فيها من مواضع الجلال والجمال ويعطينا صورة واضحة عن الآية المباركة وعن الأسماء التي تحملها الآية، وتعرفنا على معانها الواسعة العميقة ودورها الهام في حياة المخلوقات عامة وحياة الإنسان خاصة.

٢-١ منهج البحث

منهج البحث في هذا المقال منهج وصفي تحليلي، يعتمد على الاستدلال والاستنباط للوصول إلى مواقع عظيمة الآية الكريمة وأهميتها. وقد يقوم بالنقد في بعض المجالات التي يحتاج إليها البحث.

١ - ٣. سابقة البحث

إن بسم الله الرحمن الرحيم باعتبارها آية ثبتت بين الدفتين في القرآن الكريم فهي مما عولج في معظم الكتب التفسيرية؛ إن لم نقل جميعها. فالبحث هذا غني عن ذكر التفاسير، لكثرتها ولعدم إمكان هذا البحث لاستيعابها. فهي أكثر من أن يسعها هذا البحث. أما البحوث والدراسات، فهناك عدة مقالات باللغة الفارسية تعالج البسمة من جهات مختلفة. فمنها :

بررسی جزئیات بسم الله الرحمن الرحيم در سوره های قرآن (١٤٠١ از محمد قربانی مقدم). لقد ناقش صاحب المقال جزئية البسمة في السور القرآنية . هل هي آية من سورة الحمد فحسب ؟ أم هي آية في جميع السور القرآنية ؟ وقد أورد أدلة الموافقين والمخالفين في هذه المجالات وانتهى إلى القول بأن البسمة جزء من سورة الحمد وسورة البراءة عند الشيعة، دون شك؛ أما جزئيتها في غير هاتين السورتين فلم تثبت بالأحاديث المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام.

تحقیقی در ساختار نظم و مفردات آیه بسمله (١٣٨٤) از ابوالفضل خوش منش). اهتم هذا المقال بمفردات آية بسم الله الرحمن الرحيم وبحث عن النظم في تركيب كلماتها وعلاقة الأسماء الثلاثة فيها بعضها ببعض، كما بحث عن علاقة هذه الأسماء بالأسماء الإلهية الأخرى في الكتب السماوية ورأى أن موقع هذه الآية أدى إلى تبني أصل في القرآن وفي الكتب السماوية الأخرى وهو ضرورة الابتداء به في تلك المجالات، وقد وجد علاقات بين الأسماء الإلهية في القرآن وبعض الأديان واستنتج من هذا ثبوت أصل التوحيد وتقدمه التاريخي والرتبي على الشرك.

رویکردی نوین در ترجمه بسمله با تحلیل ساختارهای زبانی آن از دیدگاه آیت الله جوادی آملی (١٣٩٤ از محمد خامه گر) .

يعتبر البناء اللغوي والصرفي والنحوي أهم موضوع عالجه هذا المقال، مستفيدا من آراء العلامة جوادي الآملي التفسيرية في تفسير التسنيم، وانتهى إلى اقتراح ترجمة فارسية جديدة لهذه الآية؛ لكنه

على الرغم من البحث الوافي حول معاني مفردات الآية من وجهة نظر العلماء عامة ومن وجهة نظر الجوادى الأملى، لم يستطع أن يعطي صورة واضحة وجلية عن ترجمة بسم الله الرحمن الرحيم. إن هذه المقالات كلها وإن كانت حول البسمله؛ إلا أنها لم تناول بصورة مستقلة (أهمية البسمله) . من هذا المنطلق وجد الباحث في عرض هذا الموضوع ضرورة توجب دراسة الجوانب المختلفة التي يمكن أن يكون لها دخل في عظمة الآية الكريمة في القرآن وأهميتها عند الله تبارك وتعالى.

٢ - الإطار النظري للبحث

٢ - ١ - نظرة لغوية

لا شك أن فهم أي كلام، مهما كبر أو صغر، مرهون بفهم معانيه، ولكي نرفع الغموض عن وجه بسم الله الرحمن الرحيم نقوم أولاً بذكر معاني مفرداتها.

اسم: اختلف علماء اللغة في اشتقاق الإسم؛ هل هو من السمو ؟ أم من السمة ؟ فذهب البصريون إلى أنه من (السمو)

وهو العلو والرفعة، وذهب الكوفيون إلى أنه من (السمة) وهي العلامة (الياس، ١٩٨١م: ٢٢) . ومن المفسرين من ذهب مذهب البصريين، كالزمخشري في كشفه، وقال: ((واشتقاقه من (السمو)، لأن التسمية تنويه بالمسمى وإشادة بذكره، ومنه قيل للقلب النيز؛ من النبز، بمعنى النبر، وهو رفع الصوت والنبز: قشر النخلة الأعلى)) (الزمخشري، ١٤١٤ ق : ٥).

ومنهم من ذهب مذهب الكوفيين كصدر المتألهين الشيرازي، لقوله : (اسم الاسم، موضوع في اللغة للفظ دال على معنى مستقل، لأنه مشتق من السمة، وهو العلامة.. (صدر المتألهين ، ١٣٦٦ ق : ٣٢).

وقد ورد الحديث عن الإمام الرضا (ع) في معنى الاسم، ما يؤيد المعنى الأخير، وهو: (عن علي بن فضال، عن أبيه، قال:

سألت الرضا (ع) عن بسم الله، قال: معنى قول القائل: بسم الله، أي أسم نفسي بسمة من سمات الله عز وجل وهي العبودية ، قال: فقلت له: ما السمة ؟ قال: العلامة (الصدوق، ١٣٧٨ ق : ٢٦٠). أما كيفية تلفظ الاسم فقد جاء في اللغة العربية على خمس لغات: (إسم) بكسر الهمزة (أسم) بضم الهمزة. (سم) بكسر السين. (سم) بضم السين (سمى) على وزن هدى . (الياس ١٩٨١م : ٢٨).

وفي لسان العرب لابن منظور: (اسم الشيء وسمه وسمه وسمه وسماء : علامته (ابن منظور، ١٤٠٨ ق : مادة سمو).

هذا، وهو أحد الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون كابن وامرئ، فإذا نطقوا بها مبتدئين، زادوا همزة، تغاديا للابتداء بالساكن ؛ لسلامة لغتهم من كل لكنة، وإذا وقعت في درج الكلام لم تقتقر إلى شيء (الدرويش ١٤٢٥ ق ، ٢٣). الله: اختلف علماء اللغة والتفسير في هذه الكلمة، هل هي سريانية أم عربية ؟ اسم أم صفة ؟ مشتق أم غير مشتق ؟ وإذا كان مشتقا، فم اشتقاقه ؟ وما أصله ؟

قال صاحب إعراب القرآن: (الله، علم لا يطلق إلا على المعبود بحق خاص لا يشركه فيه غيره، وهو مرتجل غير مشتق عند الأكثرين، وإليه ذهب سيبويه في أحد قوليه، فلا يجوز حذف الألف واللام منه، وقيل: هو مشتق، وإليه ذهب سيبويه أيضا) ، (الدرويش، ١٤٢٥ م : ٢٣). وفي الاشتقاق قولان:

الأول: إن أصله (لاه)، ثم أدخلت الألف واللام عليه فصارت (الله) وهو مشتق من : لاء يليه، بمعنى : تستر وارتفع، وإلى هذا المعنى أشار الإمام علي (ع)، وقال:

(الله، معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤله إليه، والله هو المستور عن درك الأبصار، المحجوب عن الأوهام والخطرات) (الصدوق، ١٣٩٨ ق : ٨٩).

الثاني: إن أصله (إلاه) على وزن فعال من قولهم: أله الرجل يأله إلهة، أي عبد عبادة، ثم حذفوا الهمزة تخفيفا، لكثرة وروده واستعماله، فصار (الاه) ثم أدخلت الألف واللام للتعظيم ودفع الشيوخ الذي ذهبوا إليه من تسمية أصنامهم وما يعبدونه آلهة من دون الله، فصار (الله)، وهذا ما ذهب إليه الزمخشري في كشفه (الزمخشري ١٤١٤ ق: ٥).

الثالث: إنه من «وله» بمعنى: فزع، أي الذي يفزع إليه العباد عند الخوف والشدائد.

وجاء في حديث عن الإمام الباقر (ع) ما يشير إلى المعنيين الأخيرين، إذ يقول (ع) في معنى الله : «المعبود الذي أله الخلق عن درك ماهيته، والإحاطة بكيفيته. ويقول العرب: أله الرجل، إذا تحير في الشيء، فلم يحط به علما، ووله، إذا فزع إلى الشيء مما يحذره ويخافه، فالإله هو المستور عن حواس الخلق» (الصدوق، ١٣٩٨ ق : ٨٩).

إن كلام الإمام الباقر (ع) يدل على وجود اشتقاقين لاسم الجلالة، هما «وله»، و «اله». كما أن في كلام الإمام علي (ع)، السابق ذكره، دلالة واضحة على اشتقاقه من الاله.

قد يخطر على البال أن هناك تعارضاً بين المعاني الثلاثة، فكيف يمكن للأئمة (ع) أن يقرأوا بالتعارض؟ لكننا إذا تأملنا الموضوع، مؤمنين بالأئمة (ع)، وحجية أقوالهم، لظهر خلاف تصورنا، وبدا لنا صحة الحديثين، ولعرفنا أنه لا تعارض بين المعاني الثلاثة؛ بل بإمكان هذه الكلمة أن يحمل كل هذه المعاني، دون أن يختص بواحد منها، ودون أن ينحصر في معنى خاص وذلك لسعة مدلولها وجلالة مسماها. فإن الله بأفعاله وأوصافه أوسع وأكبر من أن تسعه لغة أو لسان أو يحصره اشتقاق، وقد يكون هذا سر اختلاف الأقوام والأمم في كلمة الله» إن كانت سريرية أم عربية؟ اسماً أو صفة؟ مشتقاً أو غير مشتق؟ من هنا يبدو أنها تحمل المعاني الثلاث بكاملها. إذن:

١. فالله هو الذي يفزع إليه العباد عند الخوف والشدائد.

٢. وهو المستور عن درك الأبصار، والمحجوب عن الأوهام والخطرات.

٣. وهو الذي آله الخلق عن درك ماهيته، والإحاطة بكيفيته فاحتاروا فيه، ولم يحيطوا به علماً.

الرحمن والرحيم: (صيغة فعلان)، وهذه الصيغة تدل على وصف فعلي فيه معنى المبالغة للصفات الطارئة، كعطشان وعرثان (الدرويش، ١٤٢٥ ق : ٢٤). وفي النحو الوافي: إن كان دالاً على خلو أو امتلاء ونحو هذا مما يطرأ ويتكرر؛ ولكنه يزول ببطء فالصفة المشبهة على وزن فعلان (حسن، د. تا، ج ٣: ٢٨٦). الرحيم: (صيغة فعيل)، تدل على وصف فعلي فيه معنى المبالغة للصفات الدائمة الثابتة، ولهذا لا يستغنى بأحد الوصفين عن الآخر (الدرويش، ١٤٢٥ ق : ٢٤).

الظاهرة الغريبة التي تجلب النظر في مجال مفردات بسم الله الرحمن الرحيم، هو أن الخلافات اللغوية في اشتقاق تلك المفردات لا تؤدي إلى الإيهام كما هو الأمر عادة؛ بل تزيد المعاني عمقا وبهاء ورونقا وجمالاً وسعة وعلواً وارتفاعاً. فالإسم باشتقاقه من الوسم ومن السمو» ينقل ذهن الإنسان من حد التوسم الضيق المادي إلى التوسم بسمه الله التي هي العبودية المطلقة لله تعالى، يسمو به إلى أسمى درجات الفكر ليجول في آفاق العبودية الواسعة ويسبح في بحارها العميقة ويصل إلى جنة الله الواسعة التي أعدت للمنتقين. هكذا تتجلى أهمية الجانب اللغوي في اشتقاق كلمة «الله» من «أله» و «وله» و «لاه».

فكل هذه الجذور اللغوية يتعاون بعضها مع بعض لتعطي الكلمة معناها الحقيقي ولتدل على معبود تحير فيه جميع المخلوقات واحتجب عن الأبصار والأوهام والخطرات، فلم يحيطوا به علما ولتشير إلى معبود أله الخلق عن درك ماهيته، والإحاطة بكيفيته وهو الذي يفرع إليه العباد عند حوائجهم.

٢-٢ إعراب البسمة

بسم : جار ومجرور متعلقان بمحذوف، والباء للاستعانة أو للإصاق، والمحذوف هو أبتدىء، أو أقرأ، أو أستعين. فالجار والمجرور في محل نصب مفعول به مقدم، وإذا كان المحذوف اسما فالجار والمجرور يكون خبرا مقما للمبتدأ المحذوف وكلاهما جيد.

قال الزمخشري: فإن قلت: لم قدرت المحذوف متأخرا؟ قلت: لأن الأهم من الفعل والمتعلق به، هو المتعلق به؛ لأنهم كانوا يبدؤون بأسماء الهتهم فيقولون: باسم اللات، باسم العزى، فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء، وذلك بتقديمه وتأخير الفعل، كما فعل في قوله: (إياك نعبد)، (الفاتحة: ٥)، حيث صرح بتقديم الاسم إرادة للاختصاص، والدليل عليه قوله: (بسم الله مجراها ومرساها)، (هود: ٤١)، فإن قلت: فقد قال: (اقرأ باسم ربك)، (العلق: ١)، فقدم الفعل، قلت: هناك تقديم الفعل أوقع، لأنها أول سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم)، (الزمخشري، ١٤١٤ ق : ٣).

الله: لفظ الجلالة، مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة على آخره.

الرحمن والرحيم: صفتان لله تبارك وتعالى، تابعتان له في الإعراب.

٣-٢ أحكام البسمة

ورد في التفاسير احكاما للبسمة من حيث جزئيتها من القرآن وقرائنها في الصلاة عامة وقرائنها جهرا أو إخفاتا. أن كانت واجبة أو جائزة؛ و.....

جزئية البسمة: قد نستغرب من هذا السؤال ويبدو لنا بادئ ذي بدء غريبا جدا؛ لأنه كيف يمكن أن يشك المسلم في آية وردت في القرآن مائة وأربع عشرة مرة فيسأل عنها إذا كانت آية من القرآن أم لا ؛ ويزيد الاستغراب هذا حين نلاحظ أنمة الفرق الإسلامية قد اختلفوا في كون البسمة آية من القرآن.

وقد جاء في أنوار التنزيل : بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة ومن كل سورة وعليه قراءة مكة والكوفة وفقها وهمها وابن المبارك رحمه الله تعالى، والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والأوزاعي ولم ينص أبو حنيفة رحمه الله تعالى فيه بشيء فظن أنها ليست من السورة عنده (البيضاوي ٤١٨١ق، ج ١: ٢٥).

وهكذا فعل صاحب الكشاف حين فصل بين الأقوال حسب آراء المدن ورأى أن قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية، وإنما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها، كما بدئ بذكرها في كل أمر ذي بال. وهو مذهب أبي حنيفة ومن تابعه. ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة. وقراء مكة والكوفة وفقهاؤها على أنها آية من الفاتحة وعليه الشافعي وأصحابه، ولذلك يجهر بها. وقالوا قد أثبتتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا (أمين)، فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها. وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله (الزمخشري، ١٤١٤ ق : ٥). أما الشيعة فيقول إن البسمة آية من الآيات القرآنية نزلت من عند الله على رسوله الكريم. ويؤكد عليه مذهب أهل البيت (ع) في أحاديث عديدة. يقول علي (ع): التسمية في كل سورة آية منها، وإنما كان يعرف انقضاء السورة بنزولها ابتداء للأخرى، وما وجه قراءتها في الصلاة: يقول الشيخ الطبرسي في تفسيره: اتفق أصحابنا أنها آية من سورة الحمد، ومن كل سورة، وأن أنزل الله كتابا من السماء إلا وهي فاتحته (الكاشاني، ١٤١٦ ق : ٨٢).

وجه قراءتها في الصلاة : يقول الشيخ الطبرسي في تفسيره : (اتفق اصحابنا انها آية من سورة الحمد ، ومن كل سورة ، وأن من تركها في الصلاة بطلت صلاته، سواء كانت الصلاة فرضا، أو نفلا، وأنه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة، ويستحب الجهر بها فيها يخافت فيه بالقراءة، وفي جميع ما ذكرناه خلاف بين فقهاء الأمة، ولا خلاف في أنها بعض آية من سورة النمل، وكل من عدها آية جعل من قوله صراط الذين .. إلى آخر السورة آية، ومن لم يعدها آية، جعل صراط الذين أنعمت عليهم آية (الطبرسي، ١٩٩٥م : ٥٠).

وقال صاحب روض الجنان ما ترجمته: في مذهب أبي حنيفة، وسفيان، وأوزاعي، وأبو عبيدة، وأحمد بن حنبل، لا يجوز الجهر بها، وفي مذهب مالك لا يجوز قراءتها في الصلاة (الرازي، ١٣٧٧ ش : ٤٩). هكذا اختلفت آراء الفقهاء في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة، قبل الفاتحة، أو

قبل غيرها من السور؛ إلا أننا إذا ركنا إلى نور الوحي، واستمعنا إلى منبع الهداية والفرقان، نجد هناك صراحة لا تقبل التأويل. فقد قيل لأmir المؤمنين علي (ع): أخبرنا عن بسم الله الرحمن الرحيم، أهي من الفاتحة؟ قال: فقال: نعم، كان رسول الله (ص) يقرأها ويعدها آية منها ويقول: فاتحة الكتاب هي السبع المثاني (العالمي، ١٤١، ج ٦ : ٥٩).

ثم نرى الإمام الباقر (ع) غاضبا على قوم حسبوا البسمة خارجا من القرآن، ولم يعدوها آية، ويعتبر العمل هذا سرقة، وجريمة كبيرة ارتكبوها، ويقول: سرقوا آية من كتاب الله، بسم الله الرحمن الرحيم (الكاشاني، ١٤١٦ ق، ٨٢). والإمام الصادق (ع) لا يعدها آية فحسب بل يعتبرها أفضل الآيات من السبع المثاني، وذلك فيما ورد عن محمد بن مسلم أنه قال: (سألت أبا عبد الله (ع) عن السبع المثاني والقرآن العظيم، هي الفاتحة؟ قال: نعم، قلت بسم الله الرحمن الرحيم من السبع المثاني؟ قال: (نعم، وهي أفضلهن) (الحلي، ٢٠٠٠م، ١٧٩).

على هذا تكون قراءة هذه الآية واجبة في الصلاة، قبل الحمد وقبل كل سورة تقرأ في الصلاة بعد سورة الحمد، ولا يجوز تركها. ومن تركها بطلت صلاته، ويجب عليه إعادة لقول الإمام الصادق (ع) حين سئل عن يقرأها قبل الفاتحة، فلما صار إلى غير أم الكتاب من السور تركها، فكتب بخطه يعيدها مرتين على رغم أنفه. (الحلي، ٢٠٠٠م: ١٧٢).

البسمة في العصر الجاهلي: كانت قريش قبل البعثة تكتب في أوائل كتبها : باسمك اللهم». ومن هنا عندما أمر النبي (ص) عليا (ع) في الحديبية أن يكتب كتاب الصلح بين المسلمين والمشركين ، قال له النبي (ص): اكتب يا علي بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل بن عمرو و هذا كتاب بيننا و بينك يا محمد فافتحه بيا نعرفه و اكتب باسمك اللهم. فقال رسول الله ص الأمير المؤمنين: امح ما كتبت و اكتب باسمك اللهم فقال له أمير المؤمنين (ع) لو لا طاعتك يا رسول الله لما محوت بسم الله الرحمن الرحيم ثم محاهها وكتب باسمك اللهم فقال له النبي ع اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو). (مفيد، ١٤١٣ق، ج ١: ١٢٠).

فقد روى محمد بن سعد في طبقاته: كان رسول الله (ص) يكتب كما تكتب قريش باسمك اللهم، حتى نزلت عليه وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها (هود: ٤١)، فكتب بسم الله، حتى نزلت عليه قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى (الإسراء: ١٧)، فكتب: بسم

الله الرحمن، حتى نزلت عليه : (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) (النمل : ٢٧) ، فكتب:
بسم الله الرحمن الرحيم . (ابن سعد، ج ٢ : ٢٦٣)

إذا دققنا النظر في احكام البسملة تظهر عظمتها وأهميتها بشكل واضح وجلي. لأننا إذا قلنا بجزئيته أو عدم جزئيته لسورة الحمد أو لغيرها من السور، واعتبرناها بدء السور أو فصلا بينها، فلا نشك في مواضعها التي وضعت فيها، فثبوتها في القرآن تدل على قدرها وعظمتها بالمقارنة إلى آيات الأخرى. وليس الخلاف في قرائتها أو عدم قرائتها في الصلاة إلا لعلو شأنها وارتقاع قدرها. ولهذه الأهمية الجلية عمدوا إلى إخفائها أو إخفاتها.

٢-٣. بسم الله الرحمن الرحيم، والمباحث الكلامية

من المباحث التي خاض فيها الكلاميون في مجال البسملة هو البحث عن الله وعن ماهيته ؟ وقد كفانا ما عرفنا من معناه اللغوي الذي تجلى لنا من خلال «لاه» و «أله» و «وله»، فهو المعبود الذي أله الخلق عن درك ماهيته، والإحاطة بكيفيته، وتحير الخلق فيه فلم يحيطوا به علما، وفرغ إليه كل من يحذر ويخاف. وهو المستور عن حواس الخلق، والمرتفع عن إدراك الناس والمستولي على مادي وجلي، وهو المعبود الذي يتأله إليه كل مخلوق عند الحوائج والشدائد إذا انقطع الرجاء من كل وجه دونه وتقطعت الأسباب عن جميع ما سواه.

إن كل فكرة تعرض على الإنسان، وكل وهم يتوهمه، وكل تصور يتصور في ذهنه، لا يمكن أن يكون هو الله، بل الله أكبر وأعظم من أن يوصف، يقول الإمام الباقر (ع): كل ما ميز تموه بأوهامكم في أدق معانيه، فهو مصنوع مثلكم، مردود إليكم (المازندراني، ١٤٢١ ق ، ٢٢٥)

إن المعبود الذي يعبده المسلم، فوق ما يتصوره أو يتوهمه أو يجسده. إنه كما أخبر عنه الإمام علي (ع): الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الغطن الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل محدود ... (نهج البلاغة، الخطبة ١: ١).

مناقشة كلامية حول الإسم : مما يمكن أن نناقشه في هذا المجال هو اسم الله». هل هو الصفة، أو غير الصفة؟ وهل هو ذات الله، أو غير ذاته ؟ وما الفرق فيما إذا كان الإسم والصفة عين الذات،

أو غير الذات؟ فقد روى محمد بن سنان، عن الإمام الرضا (ع)، وقال: سألته (ع) عن الاسم ما هو؟ قال: صفة الموصوف (المازندراني، ٢٠٠٠م : ٢٩٧).

وقد سئل علي (ع) عن فائدة حروف الهجاء، فقال (ع): ما من حرف إلا وهو اسم من أسماء الله عز وجل» (الصدوق، ١٣٦١ ش : ٤٤). هذا يعني أن كل شيء في العالم آية من آيات الله؛ وإن كان ذلك شيئاً بسيطاً مثل حروف الهجاء، وما من شيء إلا وهو مظهر من مظاهر صفات الله واسم من أسمائه. يبقى لنا أن نتساءل هل الاسم هو المسمى، والصفة هي الموصوف؟ وتعبير آخر: هل صفات الله هي ذاته أو غير ذاته؟

إن ما نراه بين أيدينا هو أننا نستطيع أن نغير اسم الإنسان أو صفة من صفاته دون أن يتغير ذاته، ولهذا نترك الجواب للإمام الصادق (ع) الذي أخذ على عاتقه الأجوبة عن مثل هذه الأسئلة الكلامية في عصر تضاربت فيه الأفكار إثر انصهار الثقافات الإسلامية والأجنبية، وبعث بتلميذه النشيط ليلعب دور الموقن بالله، المؤيد بحجج الله في المجالات الفكرية والمباحثات الكلامية، أعني به هشام بن الحكم.

إن هشاماً سأل أبا عبد الله الصادق (ع) عن أسماء الله عز ذكره، واشتقاقها، فقال (ع): الله مشتق من إله، وإله يقتضي مألوها، والاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ولم يعبد شيئاً. ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد الاثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد أفهمت يا هشام؟ قال هشام قلت زدني، قال (ع): الله عز وجل تسعة وتسعون اسماً، فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها هو إلهها، ولكن الله عز وجل معنى يدل عليه بهذه الأسماء، وكلها غيره يا هشام الخبز اسم للمأكل، والماء اسم للمشروب، والثوب اسم للملبوس، والنار اسم للمحرق. أفهمت يا هشام فهما تدفع به وتتأفر أعدائنا والملحدين في الله والمشركين مع الله عز وجل غيره؟ قلت: نعم، فقال: نفعك الله وثبتك يا هشام.

قال هشام: (فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حينئذ حتى قمت مقامي هذا)، (الكليني، ١٣٦٥ ش ، ج ١ : ٨٧).

ليس الإمام الصادق (ع) هو الذي طرح هذه الموضوعات وأجاب عنها فحسب بل تجد مثل هذه الاحتجاجات عند غيره من الأئمة المعصومين، وأكثرهم صراحة في ذلك هو علي بن أبي طالب (ع)

حين قال: أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده و كمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزاه، ومن جزاه فقد جهله ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال فيم ؟ فقد ضمنه، ومن قال علام ؟ فقد أخلى منه (نهج البلاغة، الخطبة ١ : ٢-٣).

لقد بين علي (ع) أن الدرجة العالية والمنزلة الرفيعة في سلم الكمال والمعرفة، هي نفي الصفات عن الله تبارك وتعالى؛ تلك الدرجة التي لا يصل إليها السالك إلا بعد التصديق والتوحيد والإخلاص .
الرحمن والرحيم: الرحمن والرحيم اسمان أو صفتان تدلان على الله الذي يحيط على العوالم الظاهرية والمعنوية، فالله تعالى باعتبار أنه يدبر أمر الكائنات، وما تحتاجه تلك العوالم من حياتها، وبقائها، ومعيشتها، وأرزاقها المادية كالماء، والغذاء، والنور، والحرارة، والهواء، فهو رحمان وباعتبار أنه يحيط على العوالم المعنوية بكل درجاتها ومراتبها وما يحتاج إليه كل مخلوق في حياته المعنوية من العلم والفكر، والذكر، والنباهة، والحلم، فهو رحيم و روى أبو سعيد الخدري عن النبي ص أن عيسى بن مريم (ع) قال: الرحمن رحمن الدنيا، والرحيم، رحيم الآخرة و عن بعض التابعين قال :
الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين (طبرسي، ١٣٦٥ ش : ٩٣) .

إلا أننا نرى في بعض الأحاديث ما يوحي بغير هذا المعنى، إذ يختلط معنى الرحمن بالرحيم، وبالعكس، فمثلا يقول الإمام الصادق (ع) في دعاء له: يا رحمن الدنيا ورحيمها، فرج همي، واكشف غمي (الكليني، ١٣٦٥ ش ، ج ١ : ٥٥٧)، إذا كان الله رحمانا في هذه الدنيا ورحيها في الوقت نفسه، فما معنى الرحيمية في الآخرة حسب ما ورد في الأحاديث؟ أذكر هنا بعضا من المعاني التي استقدتها من محضر والدي المعزز العلامة آية الله محمد باقر حكمت نيا (قدس سره) في هذا المجال، وهو: (إن لكل شيء ظاهرا وباطنا، ولكل منهما من يتولاه. فالذي يتولى الظاهر من كل شيء، ويدبر أمره، هو الرحمان، والذي يتولى الباطن من كل شيء، ويدبر أمره، هو الرحيم. وكذلك الدنيا لها ظاهر وباطن، والآخرة أيضا لها ظاهر وباطن، والله تعالى بيديه المبسوطتين يدبر أمر الظاهر ويعطي ما يحتاج إليه المادة والجسم في حياته وبقائه ورشده ونمائه، وذلك بيده الرحمانية؛ كما يتولى أمر الباطن ويعطي ما يحتاج إليه المعنى والباطن في حياته وبقائه ورشده ورقيه، وذلك بيده الرحيمية، فهو الذي يقضي

حاجات المخلوقين المادية، ويهب لهم أرزاقهم المعنوية من الإيمان واليقين والطاعة وغيرها؛ إلا أن ما يعتبر في هذه الدنيا باطنا ومعنى، يعتبر في الآخرة ظاهرا ومادة، وأن هذا الظاهر له باطن هناك. وهكذا كل باطن في عالم، ظاهر في لعالم الذي بعده وهلم جرا. فالله تعالى هو الرزاق في كلا العالمين برحمانيته ورحيميته، فهو رحمن ورحيم في الدنيا، ورحمن ورحيم في الآخرة، وعلى كل حال الله بيده الرحمانية يتولى أمر الظاهر، وبيده الرحيمية يتولى أمر الباطن، وهاتان اليدان مبسوطتان دائما، وإنه يرزق من يشاء بغير حساب (اللقاء الشخصي: ١٣٤٢ش).

٢-٤. في ساحة (بسم الله الرحمن الرحيم) العرفانية

لا نعني بالعرفان ذاك العرفان المصطلح بين عامة الناس أو بين الفلاسفة أو المتصوفة؛ بل تعني تلك المعرفة التي وصلت إلينا عن طريق أهل البيت عليهم السلام وتلقيناها عن أحاديث العترة الطاهرة؛ فلذا نكتفي بهذا الجانب في هذه الفقرة من البحث بما يلي:

آثار بسم الله الرحمن الرحيم إن البسمة من السبع المثاني، وهي من الآيات التي كررت في القرآن الكريم مئة وأربع عشرة مرة؛ تعظيما لشأنها، وتنبهها لعظمتها. وهي أفضل آية من القرآن الكريم؛ بل هي أقرب اسم إلى اسم الله الأعظم. ويكفي في رفعة شأنها أنها إذا ذكرت في أول كل عمل، بورك ذلك العمل، وطبع عليه بطابع اليمن والبركة، وإذا لم تذكر كان أبتى. فقد ورد عن أمير المؤمنين علي (ع) أنه قال: كل أمر ذي بال لم يذكر فيه بسم الله فهو أبتى (الكاشاني، ١٤١٦ ق: ٨٨).

وعنه (ع) أيضا: «إذا قال العبد: بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله ﷻ: بدأ عبدي باسمي، وحق علي أن أتم له أموره وأبارك له في أحواله» (الكاشاني، ١٤١٦ ق: ٨٢). وعن أبي عبد الله الصادق (ع)، عن أبيه (ع)، قال: (بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها) (العالمي، ١٤١٤ ق، ج ٦: ٥٧).

كلما كان تأثير العلم كبيرا في حياة الإنسان ورقيه، وكلما ارتبط ذلك العلم بعمل الإنسان، ازدادت قيمته، وارتفع شأنه وكثر أجره، ومن الطبيعي أن يكون لتعليم بسم الله الرحمن الرحيم اللفظي والعملية، شأن عظيم في الإسلام، الذي يقوم على اسم الله والهدف الإلهي. يجدر بنا في هذا المجال أن نستمع إلى النبي (ص) حيث يعرف حقيقة هذه الآية ومدى تأثيرها في الحياة الدنيا والآخرة، لتعرف لماذا يحرصنا على قراءة هذه الآية، يقول (ص): من قال بسم الله الرحمن الرحيم، بنى الله له في الجنة

سبعين ألف قصر من ياقوتة حمراء، في كل قصر سبعون ألف بيت من لؤلؤة بيضاء، في كل بيت سبعون ألف سرير من زير جدة خضراء، فوق كل سرير سبعون ألف فراش من سندس واستبرق وعليه زوجة من حور العين ولها سبعون ألف ذؤابة مكللة بالدرر واليواقيت مكتوب على خدها الأيمن محمد رسول الله، وعلى خدها الأيسر علي ولي الله، وعلى جبينها الحسن وعلى ذقنها الحسين، وعلى شفيتها بسم الله الرحمن الرحيم، قلت: يا رسول الله، لمن هذه الكرامة؟ قال: لمن يقول بالحرمة والتعظيم: بسم الله الرحمن الرحيم (النوري، ١٤٠٨ ق : ٣٨٧).

ويقول في حديث آخر: إذا مر المؤمن على الصراط فيقول بسم الله الرحمن الرحيم، طفيت لخب النيران، وتقول جزيا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي» (النوري، ١٤٠٨ ق : ٣٨٨).

البسمة كلمة تحقق؛ لا تلفظ فحسب بعد كل ما ذكرنا حول الكلمات: «الله» و «الاسم» و «الرحمن» و «الرحيم» في المباحث الكلامية المتقدمة ثم عن فضيلة البسمة و فضل قرائتها وآثارها العملي يمكن أن يخطر على البال أنه كيف يمكن لقول بسم الله الرحمن الرحيم أن يطفئ لهب النيران ويفتح المجال لعبور المؤمن عن الصراط، ونحن لا نشاهد هذه الآثار في عالمنا هذا؟ غير ما سمعنا في القرآن عن ابراهيم (ع)؛ حين قال الله يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم، فطفيت النار.

للإجابة عن هذا السؤال نعود لنقول: لا شك أن البسمة كلمة تحقق، لا تلفظ فحسب، وأن قيمة اللفظ تتجلى في معناه العملي. كما أن الجسم إن لم يكن له روح فهو باق في هذه الدنيا ولا يرتقي إلى عالم الآخرة. كذلك اللفظ، لا يصعد إلى عالم الملكوت لولا ذلك المعنى العملي الذي يرفعه، لقوله تعالى: وإليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (فاطر : ١٠)، وقيمة اللفظ بمقدار ما يحمل من المعاني، وقيمة المعاني بمقدار ما يدفع الإنسان إلى العمل ويصعد به إلى العلا، ويقربه من الله تعالى بالعمل الصالح. عندما يبسمل العبد المسلم، لا يقصد بيسم الله التيمن والتبرك فحسب، وإن كان العمل يتبرك به، وإنما يقوله إعلانا لهدفه الوحيد المحرض له والذي هو عبودية الله ورفض عبودية غيره.

كلمة بسم الله الرحمن الرحيم، تعيين للجهة التي يتجه إليها الإنسان في حركته. فإنه حين يبدأ حركته من نقطة الصفر في محور الحياة، لابد أن يعرف إلى أين يتجه؟ إلى الإيجاب أم إلى السلب؟ إلى المنفعة والخير، أم إلى الضرر والشر؟ إلى الحق أم إلى الباطل؟ إلى ما يزيد الإنسان كمالا

ويصعد به إلى العلا، أم إلى ما يهبط به إلى السفلى والحضيض ولا يزيده إلا نقصانا وخسرانا؟ إن المسلم بإجهار بسم الله الرحمن الرحيم يفصح عن اتجاهه ونيته في العمل الذي قام به، وعن الحاكم على خطواته وعن الدافع والمعرض له في ذلك العمل. فإنها حركة إلى اللانهاية الإيجابية، إلى خير بعده خير، إلى رحمة بعدها رحمة، إلى علم بعده علم، إلى نور بعده نور، إلى غنى يولد غنى، إلى الرحمن الرحيم، إلى الله الذي يهب الرحمة، ويخلق الشفقة والمحبة، فإذا كان اتجاهه إيجابيا، فترافقه الرحمانية والرحيمية من أول خطواته، فتدفعان به إلى الأمام في كل مرحلة من مراحل كماله في هذا السبيل.

يمكن أن نعتبر إبراهيم (ع) أسوة لعبودية الله في خطواته كلها من البدء إلى النهاية لقد أعلن إبراهيم (ع) بعد أن رفض عبودية كل شيء سوى الله وقال: (إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) (الأنعام: ٧٩). من هنا يبدو المؤلف هذا المقال أن هذا هو معنى البسمة في الحقيقة. إنها لم تكن إعلاما لابتداء حركته وشروع عمله فحسب، بل كانت تبين الجهة التي تبدأ من الصفر وتستمر إلى الزائد اللانهائي. لهذا نجد إبراهيم (ع) في كل خطوة من خطواته، في كل لحظة من لحظات حياته، تتجلى فيها البسمة بما فيها من معنى في دعائه، في ذبحه لابنه، في بنائه لبيته، في تهجيريه لأهله وعياله، في حياته ومماته.

إن إبراهيم (ع) كان أمة قائمة الله تعالى، لا لغيره ولا لنفسه. فكل حياته صورة من حقيقة البسمة بكل معانيها، وإن لم يكن قد نطقت بها شفتاه. فهو كما يقول: (إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) (الأنعام: ١٦٣ - ١٦٢) ، حيث يجعل صلاته وأعماله وحياته ومماته الله؛ أي لهدفه الوحيد الذي اختاره من بين جميع الأهداف. انظر إلى هذه الآية لترى كيف يفني إبراهيم نفسه في ذات الله، وينسى من أحب من زوجة وطفل طالما دعا الله لأجله حين يقول: (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع ...) (إبراهيم: ٣٧)، ثم انظر إلى الهدف والقصد الذي يقصد من وراء عمله هذا ألا وهو : ربنا ليقيموا الصلاة) (إبراهيم: ٣٧)، هذا هو تحقيق المعنى بسم الله في نفس إبراهيم (ع)، في حياته ومماته. فلا غرو إذ استطاع ببسم الله أن يطفئ النيران، ويبدلها إلى أنهار وأشجار، ويقف لوحده أمام جند عظيم نمرودي وينتصر عليهم. و فيما بعد وبعد زمن طويل يتبلور نور ذلك التحقق أي تحقق بسم الله الرحمن الرحيم العملي ويتجلى في

نفس محمد (ص) وعلي (ع)، ليكون محمد (ص) تلك اليد الرحمانية التي تأخذ على عاتقها الرسالة والهداية في الظاهر، والولاية التشريعية في بناء أمة مسلمة، وليكون علي (ع) تلك اليد الرحيمة التي تحمل مسؤولية الولاية التكوينية والحكومة على البواطن والمعاني، ليس بين الناس فحسب، بل في كل العوالم بكل مراتبها ودرجاتها في الحجر والمدر والشجر، وقد قال فضيلة الوالد (قدس سره الشريف)

دو دست ايزدی پيوسته باز است يكي نيرو ده و ديگر بساز است

يكي زان دستها خود مصطفى است دگر دستش علي مرتضى است

(العلامة حكمت نيا، اللقاء الشخصي: ١٣٤٢ش)

إن الله يده مبسوطتان دائماً. إحداهما تهب الطاقة، والأخرى تبني.

إحدى هاتين اليدين نفس محمد المصطفى (ص)، والأخرى هو علي بن أبي طالب (ع).

ها هنا وفي حدود بسم الله الرحمن الرحيم، يتحقق للإنسان العبودية المطلقة، فهو عبد الله؛ لا لسواه، تلك العبودية التي هي أعظم مرتبة من مراتب كمال الإنسان ولم يخلق الله البشر إلا لأجلها: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (الذاريات : ٥٦) ، وهي التي تسكن الجنة ولا تقترب منها النار ولمجرد تحقيقها يحصل الدخول في الجنة (فادخلي في عبادي. وادخلي جنتي) ، (الفجر : ٢٩-٣٠)؛ ولهذا نجد النار تقول للمسلم العارف الناطق ببسم الله : «جز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي (النوري ١٤٠٨ ق، ج ٤ : ٣٨٧).

العبودية التي لم تكن في بداية الطريق إلا التوجه واختيار الجهة الإيجابية، ولم تتحقق الخطوة الأولى إلا بالتوسم بسمه من سمات الله والتخلق بأخلاق الله ؛ كما أشار إليه الإمام الباقر (ع) في معنى البسملة وقال: أسم نفسي بسمه من سمات الله وهي العبادة، بمعنى أجعل على نفسي علامة العبودية، وأتخذ شعار «الله» في جهتي، وحركتي، وابتدائي، وانتهائي، وأصطبغ بصبغة الله، فتكون نفسي ممثلة للمعنى الذي قال عنه الإمام الصادق (ع): خشع لك سمعي، ويصري، وشعري، وبشري ولحمي، ودمي، ونحي، وعصبي، وما أقلته قدماي غير مستنكف ولا مستكبر ولا مستحسر (الطوسي، ١٣٦٥ ش : ٧٧).

ولا أدري إذا كان الإسم من السمو كما يقول البصريون، أو من الوسم» كما يقول الكوفيون . كيف وإذا قلنا إنه من السمو، يرد قولنا باحتجاجات الكوفيين، وإذا قلنا إنه من الوسم، سيرد قولنا بأدلة

البصريين. فالأجمل والأحرى أن نقول: دعني من مثل هذه المناقشات اللغوية التي تسم ولا تسمو، وذرنى لأنطق بغير ذلك، وهو أنني حين أسم نفسي بسمه من سمات الله، وعلامة من علامات الله، وأتخلق بخلق من أخلاق الله، وأنصف بصفة من صفات الله، أسمو بها حيث أريد، أو حيث يريد لي ربي؛ كما عبر عنه أمير المؤمنين علي (ع) حين قال: ليس العلم في السماء فينزل عليكم، ولا في تخوم الأرض فيخرج لكم، بل العلم مجبول في قلوبكم، تخلقوا بأخلاق الروحانيين حتى يظهر لكم». (الريشهري، ١٤٢٢ ق : ٣٦).

تحليلات حول نقطة باء البسمة : وإذا كنت تريد المزيد، فتعال معي لترجع البصر كرتين في الآية الكريمة، ونتطلع إلى آفاقها، لتشع علينا من إشراقاتها مرة أخرى، وننظر إلى حقيقة الولاية في هذه الآية؛ تلك الولاية التي بها يقبل الله أعمال عباده؛ ولولاها ما قامت الأفلاك، ولساخت الأرض بأهلها، وبدونها لا تقبل الأعمال؛ قلت أو كثرت، وقد قال الإمام علي (ع): اعلم أن جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن وجميع ما في القرآن في الفاتحة وجميع ما في البسمة وجميع ما في البسمة في باء البسمة وجميع ما في باء البسمة في النقطة التي تحت الباء قال الإمام كرم الله وجهه: أنا النقطة التي تحت الباء (القندوزي، ١٤١٨ ق : ٨١).

يا ترى ماذا يعنى علي بن أبي طالب (ع)؟ علي هو النقطة والنقطة هي علي هنا و في هذا المجال تقوم بثلاث تحليلات حول قول علي (ع) في باء البسمة:

التحليل الأول: إنه يريد أن يقول إن الباء حرف مبهم بدون النقطة ؟ لا تلفظ و لا تعرف أنها باء أو ياء أو تاء أو ثاء، وهكذا القرآن لا ينكشف باطنه بدون ولاية علي (ع)، ولا تدرك حقيقته إلا في ضوء معرفة علي (ع)؟ وقد أشار إلى هذه الحقيقة علي (ع) نفسه حين قال: هذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين، لا ينطق بلسان، ولا بد له من ترجمان، وإنما ينطق عنه الرجال. (نهج البلاغة، خ : ١٢٥). وأي رجل ذلك الذي ينطق بحقيقة القرآن ولديه علم الكتاب كله غير علي وأهل البيت ؟ وقد قال النبي (ص) إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض (الصدوق ، ١٣٧٨ ش، ج ٢ : ٦٢).

إن القرآن لا يعني شيئاً إذا انفصل عن العترة الطاهرة، ولا يعني شيئاً إذا انفصل عن علي (ع)؛ بل إنه يظل مجرد الفاظ مبهمة تكتب وتقرأ ولا تفهم. وهذا بالفعل ما رأيناه طوال القرون الإسلامية بعد

انتقال رسول الله (ص) إلى جوار ربه. فقد كتبت آلاف الكتب في تفسير القرآن والأحاديث النبوية، وعولج في جميعها الإسلام، وقامت دعائم حكومات عالمية عديدة باسم الإسلام، وظهرت فرق مختلفة فكرية وسياسية، كلها تدعي الإسلام؛ لكن الإسلام بقي مجرد كتابة، مكتوبا فحسب؛ دون أن يقرأ قراءة تحقيق وعمل بين الأمم. والقرآن ظل مجرد كتاب بين الدفتين، لم يعد إلى الساحة السياسية والاجتماعية بنحو عملي، في تلك العصور كتب القرآن في نسخ عديدة، والعلماء ناقشوا علوم القرآن من الأدب والبلاغة والنحو والصرف والفقه والكلام وغيرها، ومع كل ذلك بقي القرآن يحكم عليه دون أن يكون هو الحاكم على الناس. وقد فسره كل مفسر حسب آرائه وأهوائه ومصالحه الخاصة. فالقرآن الذي كان سر الوحدة في عصر محمد (ص)، أصبح وسيلة الخلاف بعده فانقلبت الأمة إلى الأمم، والحزب إلى الأحزاب، والوحدة إلى التمزق والتشتت كل ذلك لأنهم عمدوا إلى حذف نقطة الباء.

التحليل الثاني: دور الباء في القرآن هو دور الخطوة الأولى في حركة الإنسان، لقد قلنا إن بسم الله الرحمن الرحيم تعيين للجهة التي يتجه إليها الإنسان في محور الحياة التي تبدأ من نقطة الصفر إلى لا نهاية إيجابية، وإذا كان أول خطوة في هذا السبيل عقيما فلن تلد هذه الخطوة خطوات أخرى إلى الأمام، وعلى السالك إما أن يقف وقوفا في الصفر، وإما أن يرجع إلى الوراء أي إلى لا نهاية سلبية، تماما كما أنك لا تستطيع أن تدخل إلى بحار أنوار القرآن وإلى مدينة علم النبي (ص) إلا من باب تلك المدينة، وإن دخلت من غير بابها تعد سارقا. فشان علي (ع) هو شأن الباء في البسمة، والتلفظ بالباء هو ابتداء قراءة البسمة، وقبول ولاية علي (ع) هو ابتداء الدخول في الصراط المستقيم.

التحليل الثالث: ولا يبعد أن يكون كلام علي (ع) إشارة إلى قيمة النقطة ورفعة شأنها في منتهى صغرها. تعلم أن القرآن أو أي كتاب آخر، مؤلف من الجمل، وكل جملة تتألف من الكلمات، وكل كلمة تتألف من الحروف، والحروف هي النقط المتكررة، والأصل في كل حرف وكلمة وجملة وكلام وكتاب هو النقطة من النقطة يتألف الخط، ومنه تتألف الحروف والكلمات والجملات، بهذا المعنى لا يكتب شيء إلا والنقطة هي أصل ذلك الشيء وبنائه وعماده، النقطة هي بداية الكتابة والقراءة، وبدونها لا تتحقق الكتابة إطلاقا.

بهذا الاعتبار يكون علي (ع) الذي هو نفس النبي (ص) بداية الوجود، منه بدأ الخلق وبه قام، ولولاه لما خلق العالم كما قال الله في رسوله: لولاك ما خلقت الأفلاك المجلسي، ١٩٨٣م، ج

١٥:٢٧)، وهو أول ما خلق الله الذي به بدأ وإليه يعود وقد قال : بكم بدأ الله، وبكم يختم، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه الصدوق، ١٤١٣ ق: ٦١٥)، وقال النبي (ص): يا جابر، أول ما خلق الله نور نبيك ديلمي ، ١٤٢٧ ق : ٤٢٢). كما هو كل الوجود ومنه يتألف الوجود، حسب ما قال الإمام علي (ع): «نحن صنائع الله والناس بعد صنائعنا» (المجلسي، ١٩٨٣م، ج ١٥:٢٤) ، وعلى هذا نقول إن عليا (ع) يرافق كل موجود في كل العوالم، لا بل هو أصل الوجود.

لأهمية بسم الله الرحمن الرحيم، وبما تحمل البسملة من المعاني السامية في حق ولاية علي (ع) أخفتها قوم في صلواتهم، وتركها أو سرقها) قوم، وأجهر بها قوم آخرون، تصديقا لتلك الولاية أو تكذيبا بها، مع علمهم جميعا أن النبي (ص) حدث عن الله تعالى أنه قال: (كل أمر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أبتى). (العالمي، ١٤٠٩ ، ج ٧: ٢٠٧).

فهل هناك أمر أعظم من الصلاة، فإن لم تبدأها بالبسملة وحذفناها من بداية السور في الصلاة، أفلا تكون الصلاة صلاة بترء؟ وهكذا فعل البعض في الصلاة على محمد وآل محمد، حين تركوا الصلاة على آل محمد واكتفوا بالصلاة على النبي فحسب، وفيه قال النبي (ص): لا تصلوا علي صلاة مبتورة، بل صلوا إلى أهل بيتي، ولا تقطعوه، فإن كل نسب وسبب يوم القيامة منقطع إلا نسبي (العالمي، ١٤٠٩، ج ٧، ٢٠٧) فهل هناك علاقة بين من يصلي الله صلاة بترء بحذف البسملة من الصلاة، ومن يصلي على النبي محمد صلاة مبتورة بحذف آل رسول الله من الصلوات؟ هنا موضع التأمل.

النتائج

تتصف آية بسم الله الرحمن الرحيم في النظرة الأولى بأوصاف تجعلها موضع نقاش الباحثين والمفسرين، وتدل على أهميتها بين الآيات القرآنية الأخرى وذلك بتكرارها بعدد السور القرآنية. وبأنها بدر القرآن وبدء السور. فإن أول كل كتاب عادة ما، يقع العنوان الذي يعتبر إحدى العتبات النصية، ويحمل في طياته كل المعاني التي عرضت في الكتاب مجملا، ليكون ذلك العنوان ممثلا له، ودليلا عليه وأحسن العناوين، ما يتجلى فيه كل المعاني التي عرضت في النص؛ وتتجلى في كل جملة من جمل الكتاب.

إنها من الآيات التي كثر الخلاف فيها، ولا يخفى أن كثرة الخلاف حول شخصية أو موضوع، تشير إلى عظمة فائقة في ذلك الإنسان أو الموضوع. ومن هنا وردت حولها أحاديث عديدة تدل على عظمتها، وآثار الإيمان بها، ثم دورها الكبير في حياة الإنسان الدنيوية والأخروية.

إن الآية المباركة: بسم الله الرحمن الرحيم على الرغم من صغر حجمها المادي وقلة كلماتها وحروفها في الظاهر، تحمل في معانيها أوسع المعاني وأعظم المفاهيم المعرفية. تظهر هذه المعاني في اشتقاقها اللغوي لمفردات هذه الآية، كما تتجلى من خلال المباحث الكلامية والعرفانية بأنها الوحي بأجمله، والرسالة بكاملها، والولاية بأدق معانيها، هي خلاصة الوحي الإلهي التي ركز عليها الله تعالى في بداية كل سورة أنزلها على رسوله، تعليمها وتأييدا لعباده المؤمنين هي بيت القصيد في القرآن العظيم. هي زبدة القرآن، وعصارة لكل ما جاء فيه. إنها عنوان لكل سورة أنزلها الله تعالى؛ بل هي عنوان الكلام الله تعالى عامة.

آية واحدة في الرؤية الظاهرية؛ لكنها آية الآيات القرآنية بكاملها؛ بل استندت عليها آيات الكتب السماوية كلها، من التوراة والإنجيل والصحف والزيور. إنها آية لجميع الآيات في الكون، آية في العقيدة آية في العمل، آية في الأخلاق الإسلامية الكريمة، آية في الإخلاص، آية في تحكيم الهدف الإلهي آية لكل حركة وسكون، وكلام وصمت، وأكل وشرب، وقيام وقعود، آية لكل رقي يحدث في عوالم الخلق بجميع مراتبها، من النبات، إلى الملاك؛ لأنها تحمل في طياتها كل النعم الظاهرية والباطنية المادية والمعنوية الموهوبة من عند الله تعالى و التي يحتاج إليها كل المخلوقات في دنياهم وأخراهم.

تعارض المصالح: قال المؤلف: ليس تعارض المصالح في هذا المقال، وهو مرسل لهذه المجلة فقط.

المصادر

قرآن

١. نهج البلاغة، الإمام علي جمعه الشريف الرضي (٤٠٦ق). حققه وشرحه كاظم محمدي و محمد دشتي. بيروت: دار الأضواء. ابن سعد، محمد. (د.ت). الطبقات الكبرى . ج ١ - بيروت: دار صادر.

٢. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤٠٨ ق). لسان العرب. نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه علي شيري، ج ٦. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٣. البيضاوي، عبد الله بن عمر (١٤١٨ ق) انوار التنزيل وأسرار التأويل اعداد محمد عبد الرحمن مرعشلي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٤. حسن، عباس (د.ت). النحو الوافي ج ٣ . ط . تهران: ناصر خسرو.
٥. الحلي، نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن (٢٠٠٠م). المعتمد في شرح المختصر . تحقيق وتصحيح عدة من الأفاضل وإشراف ناصر مكارم الشيرازي ج ٢، قم: نشر مؤسسة سيد الشهداء.
٦. الدرويش، محيي الدين (١٤٢٥ ق). إعراب القرآن الكريم وبيانه . ج ١.
٧. ديلمي، حسن بن محمد. (١٤٢٧ ق). غرر الأخبار و درر الآثار في مناقب أبي الأئمة الأبرار، تصحيح اسماعيل ضيغم. قم: دليل ما.
٨. الرازي، حسين بن علي (١٣٧٧ ش). روض الجنان وروح الجنان، ج ١. تصحيح محمد جعفر ياحقي ومحمد مهدي ناصح. ط ٢. مشهد بنياد پژوهشهای اسلامی.
٩. الريشهري، محمد. (١٤٢٢ ق). العلم والحكمة في الكتاب والسنة. قم المقدسة : دار الحديث.
١٠. الزمخشري محمود بن عمر. (١٤١٤ ق). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل (ج١). قم المقدسة: مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلية.
١١. صدر المتألهين، محمد بن إبراهيم بن يحيى القوامي (١٣٦٦ ش). تفسير القرآن الكريم. تصحيح محمد خواجوي . ج ١. قم المقدسة: مطبعة أمير. انتشارات بيدار.
١٢. الصدوق ، محمد بن علي (١٣٩٨ ق). التوحيد. تصحيح وتعليق : السيد هاشم الحسيني الطهراني. قم المقدسة. منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.
١٣. الصدوق، محمد بن علي (١٣٧٨ ق). عيون أخبار الرضا (ع) ، تحقيق مهدي لاجوردی . ج ١ و ٢. تهران: انتشارات جهان
١٤. الصدوق، محمد بن علي (١٤١٣ ق). من لا يحضره الفقيه (ج٢). قم: دفتر انتشارات اسلامی وابسته به جامعه مدرسين حوزه علميه قم.
١٥. الصدوق، محمد بن علي (١٣٦١ ش). معاني الأخبار. قم: جامعه مدرسين.

١٦. الطبرسي، الفضل بن الحسن (١٣٦٥ ش). مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١، تهران: چاپ آرمان
١٧. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (١٣٦٥ ش). تهذيب الأحكام، ج ٢، تهران: دار الكتب الإسلامية.
١٨. العاملي، محمد بن الحسن (١٤١٤ هـ.ق). وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة تحقيق مؤسسة آل البيت (ع) الإحياء التراث ط. ج و ٧. قم المقدسة: مطبعة مهر.
١٩. القندوزي، سليمان (١٤١٨ق). ينابيع المودة، تحقيق علاء الدين الأعلمي بيروت: مؤسسة الأعلمي.
٢٠. الكاشاني، محسن الفيض. (١٤١٦ هـ.ق). التفسير الصافي، ج ١. ٢. قم المقدسة: مؤسسة الهادي.
٢١. الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب. (١٣٦٥ هـ. ش). الكافي، ج ٢. تهران: دار الكتب الإسلامية.
٢٢. المازندراني، محمد صالح (٢٠٠٠م) شرح أصول الكافي. تحقيق وتعليق الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح السيد عاشور علي ط ١. (ج ٣). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٢٣. المجلسي، محمد باقر (١٩٨٣م). بحار الأنوار ج ١٥. بيروت: مؤسسة الوفاء.
٢٤. المجلسي، محمد باقر (١٤٢٣ق). زاد المعاد بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٢٥. مفيد، محمد بن محمد. (١٤١٣ق). الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد. ج ٢. قم: كنگره شيخ مفيد.
٢٦. النوري، حسين بن محمد. (١٤٠٨ ق). مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل (ج ٤). قم. مؤسسة آل البيت (ع).
٢٧. إلياس، منى وغيرها. (١٩٨١م) فصول في النحو والصرف دمشق : المطبعة التعاونية.

References

Al-Abshihi, Shahab Al-Din Muhammad bin Ahmed (٢٠٠٨AD) al-Mustatraf fi kull fann mustazraf. 1st edition. Beirut: Dar Al-Fikr.

•Quran

1. Nahj al-Balagha, Imam Ali. Collected by Al-Sharif Al-Radi. (1406 AH). Verified and explained by Kazem Mohammadi and Mohamed Dashti. Beirut: Dar Al Adwaa.
2. Ibn Saad, Muhammad. (n.d). Tabaqat Al-kubra. 1(V. Beirut: Dar Sader.
3. Ibn Manzur, Muhammad bin Makram. (1408 AH). Lisan Al-Arab. Coordination, commenting and indexing: Ali Shiry. 6th V. Beirut: Dare Ehyae Al-Turath al-Arabi.
4. Al-Baydawi, Abdullah bin Omar. (1418 AH). Al-Anvar Al-Tanzil va Al-Asrar Al-Ta'vil. Prepared by Muhammad Abd al-Rahman Marashli. Beirut: Dare Ehyae Al-Turath al-Arabi.
5. Hassan, Abbas. (n.d). Al-Nahv Al-Vafi. 3th V. 4th ed. Tehran: Nasir Khosrow.
6. Al-Hilli, Najm Al-Din Abu Al-Qasim Jaafar bin Al-Hassan. (2000). Al-Moatabar Fi sharh Al- Mokhtasar. Verified and corrected by several distinguished scholars and supervised by Nasser Makarem Al-Shirazi. 2nd V. Qom: Syyed al-Shuhada Foundation.
7. Al-Darwish, Mohieddin. (1425 AH). E'rab Al-Quaran Al-Karim va Bayanah.

8. Daylami, Hassan bin Muhammad (1427 AH). Ghurar Al-Akhbar va Durar Al-Asar fi Managhibi Abi Al-A'emata Al-Abrar. Corrected by Ismail Dhaigham. Qom: Dalile Ma.
9. Al-Razi, Hussein bin Ali. (1377 SH). Rawd al-Jinan wa Ruh al-Jinan, 1 V. Edited by Muhammad Jaafar Yahaqi and Muhammad Mahdi Nasih. 2nd ed. Mashhad: Islamic Research Foundation.
10. Al-Rishahri, Muhammad. (1422 AH). Al-Elm ul-Hikma fi Al-Ketab Al-sanah. Qom: Dar Al- Hadith.
11. Al-Zamakhshari. Mahmoud bin Omar. (1414 AH). Al-kishaf 'an haqaeg gavamiz Al-Tanzil va 'uyun Al-Aqavil. (1st V.). Qom: Islamic Information Office in the Seminary.
12. Sadr Al-Mutalahin, Muhammad bin Ibrahim bin Yahya Al-Qawami. (1366 SH). Interpretation of the Koran. Edited by Muhammad Khawawi. 1 V. Qom: Amir Press. Bidar publication. Al-Saduq. Muhammad bin Ali. (1398 AH). Al-Tuhid. Correction and comment: Al-Sayyed .
13. Hashem Al-Husseini Al-Tehrani. Qom: Manshurat Al-Jama'ata Al-Mudarisin fi Al-Huzata Al-Elmiyah. • Al-Saduq, Muhammad bin Ali. (1378 AH). (Uyun Akhbar Al-Rida, edited by Mehdi Lajivardi, 1 & 2nd V. Tehran: Jahan Publications.
14. Al-Saduq, Muhammad bin Ali. (1413 AH). Man La Yahzaruhu Al-Faqih. (2nd V.). Qom: Islamic Publication Institute related to the Modarresin Seminary of Qom. • Al-Saduq, Muhammad bin Ali. (1361 SH). Ma'ani Al-Akhbar. Qom: Jamiata Al-Mudarisin.

15. Al-Tabarsi, Al-Fadl bin Al-Hassan. (1365 SH). Majma'a Al-Bayan fi Tafsir Al-Qur'an. 1 V. Tehran: Arman publication.
16. Al-Tusi, Abu Jaafar Muhammad bin Al-Hasan. (1365 SH). Tahzib Al-Ahkam. 2nd V. Tehran: Dar Al-Kutub Al-Islamiyyah.
17. Al-Amili, Muhammad bin Al-Hassan. (1414 AH). Wasa'il Al-Shiite ela Tahsil Masa'il Al-Sharia. Investigation of the Al-Bayt Al-Ehya Al-Turath Foundation. 2nd ed. 6th & 7th V. Qom: Matbaat Mehr.
18. Al-Qandouzi, Suleiman. (1418 AH). yanabi'a Al-Mudah. Verified by Aladdin Al-Alami. Beirut: Al-Alami Foundation.
19. Al-Kashani, Mohsen Al-Fayd. (1416 AH). Al-Tafsir Al-Safi, 1 V. 2nd ed. Qom: Al-Hadi Foundation.
20. Al-Kulayni, Abu Jaafar Muhammad bin Yaqoub. (1365 AH). Al-Kafi, 2nd V. Tehran: Dar Al-Kutub Al-Islamiyyah.
21. Al-Mazandarani, Muhammad Saleh. (2000). Sharhi Kitab Al-Kafi. Investigation and commentary: Al-Mirza Abu Al-Hasan Al-Shaarani, edited and corrected by: Al-Sayyid Ashour Ali. Ist
22. edition. (3rd V.). Beirut: Dare ehya Al-turath Al-Arabi. Al-Majlisi, Muhammad Baqir. (1983AH). Bihar Al-Anwar. 15 V. Beirut: Al-Wafa Foundation.
23. Al-Majlisi, Muhammad Baqir. (1423 AH). Zad Al-Ma'ad. Beirut: Al-Alamy Publications Foundation.
24. Mufid, Muhammad bin Muhammad. (1413 AH). Al-Ershad fi Ma'rifata hujaj Al-Allah 'ala Al-'ibad. 2nd V. Qom: Sheikh Mufid Congress.

25. Al-Nouri, Hussein bin Muhammad. (1408 AH). Mustadrak Al-Wasa'il va Mustanbit Al- Masa'il (4h V.). Qom: Al-Bayt Foundation.
26. Elias, Mona and others, (1981). Fusul fi Al-Nahv va Al-Sarf. Damascus: Al-Matbaat Al- Ta'avuniyah.

